نص من كامل شياع ومقاربة قصصية لعلي الشوك عن شخصيته في الذكرى 56 لميلاده

ذلك الشيء الذي لم يتعب عليه كان جوهرا فريدا

يتذكرونه في الولادة مثلما يتذكرونه في الوفاة.

والوفاة كلمة لا تليق بكامل شياع. فهو حقا شخص حي. لم يكن مثقفا صاخبا، ولا غزير الانتاج، ولا ناشطا في المنتديات، ولا انيسا في المسامرات. ومع ذلك فقد كان نوعا من الوجود الطيب الكثيف.

عاد الى العراق بعد منفى طويل، وشغل على الفور موقع مستشار في وزارة الثقافة. وظل حتى رحيله في هذا الوسط الحساس من دون ان يقع في مشكلة. ومر عليه ثلاثة وزراء. ولعل احدهم لم يكن يشبه الآخر. ومع ذلك فان احدا منهم لم يتورط معه في مشكلة. وهذه معجزة كما لابد تعرفون.

ولعل تفسيرها لا يقوم على عقله، وهو فريد. ولا يقع فقط في سلوكه، وهو آية في التهذيب. ولا في اشواقه الى العطاء، وهي اصيلة. هذه جميعا تشكل مصادر لفهم معجزته. ولكن يبقى هناك ما قد يعلو عليها جميعا في تفسير ظاهرة كامل شياع. انه شيء عميق في شخصيته، وربما كان هو الشيء الوحيد الذي لم يتعب عليه، وانما ولد معه كما تولد الموهبة مع المخلوق.

عقد احد الكتاب يوما مقارنة بين طيبة غاندي وطيبة تولستوي. فقال ان الاول كان طيبا بطبيعته، لا جهد ولا تعب في مقاومة الشر في شخصيته، لأن الشر لم يكن عاصفا فيها، ولا مشتعلا كما يفعل في العادة مع الناس.

أما تولستوي فكان كما تكون الناس، لكنه جاهد ليكون طيبا بارادته.

كامل كان من فصيلة غاندي. كان طيبا بطبيعته.

وحدهم رجال كاتم الصوت الذين اغتالوه في الثالث والعشرين من آب (اغسطس) 2008 كانت لديهم معه» مشكلة»، وأي مشكلة؟ مهما كانت فانها ستبقى مثل اصحابها من منتجات الظلام الدامس الرهيب. وهم، على بؤسهم، شهادة اخرى على فرادة كامل، على حياة من النبل، طاقة من التنور، وعلامة على ضوء.

اصدقاء كامل، ومنهم الكاتب والصحفي صادق البلادي، استذكروه في عيد ميلاده السادس والخمسين الذي صادف الجمعة الخامس من شباط (فبراير) الجاري. (ولد عام 1954). و»العالم» تشاركهم في هذه الصفحة احتفالهم بالمناسبة.

عيد ميلاد سعيد يا كامل!

الطوبى أو اليوتوبيا كنقد

كامل شياع *

مادة موضوع هذا البحث هي أهمية التفكير الطوباوي. اننا نفترض أن النزعة الطوباوية هي شكل من الخيال الاجتماعي المرتبط بكل ثقافة، غير أنه بارز بشكل خاص في العالم الغربي كخطاب مستقل ذاتيا. وباستثناء طوبى توماس مور، والى حد أقل جمهورية أفلاطون، لا يوجد تحليل تام جرى لأي نص طوباوي آخر. ذلك بسبب أنها تركز بشكل رئيسي على فحص السياق، الذي فيه تكتسب الطوبى دورها. ولكن على المرء أن يقول دائما إن هذا العمل لا يدعي دراسة أهمية الطوبى في نص تاريخي خاص. بدلا عن ذلك انه يريد ملامسة مراحل تاريخية مختلفة (من عهد النهضة الى وقتنا الحالي[1989 تاريخ الأطروحة]) من أجل عرض منطق التفكير الطوباوي ومستلزماته. وإضافة فالعمل في محاولته صياغة بعض التقريرات العامة عن أهمية الطوبى، سيتناول، باعتبار أن الطوبى الاجتماعية هي موضوعه، تلك اليوتوبيات التي تصف مجتمعات خيالية. ولهذا الغرض فليست ثمة مناقشة تخص الطوباويات التقنية والمعمارية، أي طوباويات الفضاء.

معالجتها من مسألتين

والى جانب ذلك فان اهتمامنا بدراسة منافع التفكير الطوباوي لا يشمل دراسة قضية إمكانية التطبيق أو استحالته. وكأمر واقع فإن غالبية النقد ضد الطوباوية تتعلق بهذه المسألة. فهناك، حسب هذا النقد ، شيء إغوائي في النزعة الطوبائية مُعَبِّر عنه في إدعاء معرفة ما لا يمكن معرفته: المستقبل. وفوق ذلك فإن الرؤيا الطوباوية الصارمة للمستقبل ستقود الناس ليس فقط الى بدائل وهمية، بل أيضا، وأكثر جدية، تؤدي في حالة تطبيقها الى تحطيم تنوع أشكال الحياة واستقلال الأفراد. وبدلا من ذلك سنحاول فحص أهمية النزعة الطوباوية كنقد بالاشارة الى مسألتين لهما طبيعة انتروبولوجية وذهنية. وفيما يخص الأول فإن النزعة الطوباوية تجد قاعدتها في حقيقة أن الكائن البشري كائن توقعي، أي كائن مهتم بمستقبله. بأية طريقة قد تُفهم، الطوبى تدعو الى إشغال البال الانساني بالمستقبل، معززة له عبر الدفاع عن إمكانية تحسين الطبيعة البشرية.

ثانيا، ولو أن الطوبى ينبغي اعتبارها غير عملية إلا أنها ليست غير ذات جدوى. وهذا بسبب لو أن الفلسفة هي "معماريو عمارات الروح، وهي في ذات الوقت مذيبتها"، كما يقول وايتهيد، فآنذاك ليست الطوبى سوى تجسيد مادي لهذه العمارات. والطوبى تعرضها كطرق حياة متباينة حيث المسائل الحيوية حول الحرية، والطبيعة البشرية والخير هي المقصودة بالخطاب. ومع ذلك فإنه من أجل رؤية مغامرات الطوبى خلف العالم الفعلي، كإلهام في البحث عن المعنى، لا يقتضي أن يتضمن هذا أن على المرء أن يأخذ تصوراتها كحل نهائي للمشاكل البشرية على محمل الجد. وبكلمات أخرى فإن غرابة النزعة الطوباوية لتحويل العالم الواقعي هو ما يشغلنا أكثر من العالم الذي تبنيه.

صعوبة التعريف

وعلى أي حال فإن كان هذا كافيا لشرح الغرض الرئيسي لهذا العمل، فدعُونا اذا نشرع في مسألة هامة تخص الطوبى، أعني تعريفها. هناك عدم اتفاق كبير بين الدارسين في مجالات الفكر السياسي وتاريخ الافكار حول طبيعة الطوبى. وربما ان هذا يعود الى حقيقة أن شكل ومضمون الطوبى متغيران خلال التاريخ، وكذلك لأن ليس لها موضوع محدد. وهذا قد قاد الى طوبى يُقتَفى أثرها في خطابات عديدة من الخطاب الاخلاقي الى الفلسفي السياسي الى الكلمات المتخيلة في الأدب والفن. والملاحظ أنه في غياب التعريف المقارن فإن غالبية الكتابات في الموسوعات والقواميس الاختصاصية تفضل تناول الطوبى وفقا لبعض الموضوعات والبنى المشتركة.

واعتبارا لمسألة تعريف الطوبى ينقسم الدارسون الى مجموعتين: هؤلاء الذين يعتبرون الطوبى قابلة للتعريف، وأولئك الذين ينكرون هذا. دعونا نبدأ بالمجموعة الثانية الممثلة افضل تمثيل بـــ : أف .إي مانوئيل و أف . پ .مانوئيل في دراستهما المحتفى بها بشكل واسع، و الموسومة الفكرة الطوباوية في العالم الغربي. انهما يصرحان أن الطوبى تتحدى أي تعريف بسبب تغيرها المستمر. ومن نظرة نيتشوية يحاججان في أن التاريخ والتعريف متعاكسان وأن "فقط ما لا تاريخ له يمكن تعريفه". ولتفادي التضارب بين وجود تعريف صارم للطوبى والمعاني المتعددة لها خلال التاريخ فإن مانوئيل يفضلان ما يدعوانه "النزوع الطوباوي في الانسان" الذي يظهر من خلال اختلاف التجارب في فترات مختلفة.

فهكذا، لأنهما وجدا "أن أصل النزوع الطوباوي هو، بالمعنى المطلق، لا يمكن التعرف عليه" فقد أذعنا الى أن تصنيف الطوباويات في مجموعات حسب فتراتها وعناصرها أمر ممكن.

أما أولئك الذين يعتبرون الطوبى قابلة للتعريف فهم من المحتمل ممثلون بشكل افضل في الطوبى والمجتمع المثالي تأليف جي. سي. ديفيس. والاهتمام الأكبر لديفيس هو ايجاد أساس موضوعي لتعريف الطوبى. فهو يقول إن هناك حالة من الاضطراب تنتج عن المقاربات الذاتية تبعا لأي من ملامحها. وعلى هذا الأساس فإن بعض هذه المقاربات شخصت الطوبى إما مع تصور المرء لعالم أفضل (أو كامل) او مع رؤى سياسية او فلسفية. ديفس يشدد بدلا عن ذلك، على انه توجد افتراضيا تصورات عديدة عن مجتمع مثالي كبلاد كوكانيا (Cockaygne (Land، و أركاديا، و الكومونويلث الاخلاقي الكامل، الألفية، و طوبى. والذي يميز طوبى عن التصورات الاخرى عن المجتمع المثالي، حيث الغرض الرئيسي هو زيادة الانسجام والتقليل من النزاع والاضطراب، هوالسبيل الذي فيه ينظم الوصول في الاول "الى" توفيق بين القناعات المحدودة والرغبات الإنسانية غير المحدودة ضمن إطار مجتمعي" يقول ديفز "الطوبى هي عملية كابحة، مجموعة ستراتيجيات للحفاظ على نظام اجتماعي، والكمال بوجه النقائص، لا نقول خصومة، في الطبيعة وعناد، تصلب الإنسان". يلي ذلك أن الطوبى تضفي المثالية على دور التنظيم والحضارات.

ضرورة التعريف

في الحقيقة، نحن نتفق، من ناحية مع المانوئيلين حول صعوبة ايجاد تعريف شامل للطوبى، لنفس الأسباب التي ذكراها، ولكن من ناحية أخرى نعتبر مطالبة ديفز، أنه من غير الممكن التحدث بتنوع عن الطوبى، دون تعريفها، أمرا مقبولا تماما.. المشكلة الوحيدة التي لدينا مع تعريف ديفز هي أنه في الوقت الذي يناسب فيه طوباويات القرنين السادس عشر والسابع عشر التي بينت اهتماما خاصا بتأسيس نظام، إلا أنه لا يحسب لطوباويات الحرية في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر. ونحن بدلا عن ذاك ندافع عن ضرورة وجود تعريف، مدركين أن أي تعريف مقترح يمكن فقط أن يكون مساعدا الى درجة أنه يضع تحديدا تمهيديا للظاهرة. والتعريف لا يجب أن يعوض عن سبر المغزى الخاص لكل طوبى. وبناء على ذلك فإن تعريفا عاما أوسع سيُتَبنى في هذا العمل حيث، على العكس من تعريف ديفز، لا تقدم إشارة الى المغزى الذي ينظم العالم الطوباوي. وهكذا فإن الطوبى تمثل "حالة مجتمع يُطمح لها بالنهاية من قبل فرد أو جماعة، بغض النظر عما إن كان تحقيقها وكيفية ذلك ممكنا أو لا". إن الطوبى بهذا المعنى تمثل حالة من الانسجام ناتجة عن لُعُوبية ذهنية تحقق غاية الوصول الى انسحاب متعمد من عالم الواقع."

ويقينا ان هذا التعريف يفترض مسبقا أن هناك تعريفا طوباويا يتكون من امتلاك خطاب متميز، واضح المعاني يُسَمى طوبى تناقش في معانيه وموضوعاته مفكرون من أزمنة وأمكنة مختلفة.

وفي الختام، وبسبب أن هذا العمل يتناول موضوعا، مَعنِيا، بتعبير خشن، بالعلاقة بين الواقع والسمو يصبح مما لا بد منه تحاشي استخدامات في بعض القضايا الواسعة.

وعلى أي حال فما نحاول نحن فعله، هو مقاربة تلك اللمحات في كل من الموضوعات ذات الصلة بمناقشتنا. الفصل الآول سيتضمن مقاربة غير نهائية للصلة المباشرة بين الطوبى من الناحية الأنتروبولوجية والذهنية. الفصل الثاني سيمثل المناقشة الإصطلاحية لخصائص الطوبى كنقد، بينما الفصل الثالث سيفحص نظرية بلوخ عن أصل النزعة الطوباوية.

* الكاتب والصحافي صادق البلادي ترجم هذا العمل للمرحوم كامل شياع، بمناسبة الذكرى 56 لميلاده التي صادفت الجمعة الماضي (الخامس من الشهر الجاري)، وهو عبارة عن مقدمة للأطروحة التي نال عليها شياع درجة الماجستير عام 1989 بدرجة امتياز عال من جامعة لوفن الكاثولوكية في بلجيكا

مسدس كاتم الصوت

علي الشوك*

أخبرت ياسمين صديقتها شهرزاد بأن خطيبها رياض العبيدي، الذي قدم من العراق الى لندن مع وفد رسمي، سيلقي محاضرة في منتدى «وادي الرافدين»، عنوانها «حذلقات الفلاسفة». وحضتها على حضورها في صحبتها، لأنها تحب ان تعرّفها بخطيبها. وأكدت لها بأنها قررت، هي وأمها، دعوتها مع رياض إلى عشاء في بيتهم، بعد المحاضرة. وألحت عليها بالحضور، لأنها تريدها ان تكون في ناصرها لإقناع رياض بترك المستنقع العراقي، ليتسنى لهما عقد قرانهما خارج العراق.

كان رياض العبيدي في منتصف الأربعين، ناحل الجسم بعض الشيء، وأميل الى الطول، وتلوح عليه مخايل ذكاء، وذا عينين زرقاوين شأن العديد من العبيديين. وكان يضع نظارات، وحليق الشاربين، وذا ابتسامة حيية لا تفارقه. وقد قدمه سكرتير منتدى «وادي الرافدين» بأنه مستشار في وزارة الثقافة العراقية، وهو متخصص في الفلسفة من جامعة لوفان البلجيكية، ويُلم بأربع لغات، الى جانب العربية، هي الإنكليزية، والفرنسية والإيطالية والفلمنكية.

عندما أعطي رياض المايكروفون، حيا الحضور بكلمتي «مساء الخير»، ثم قال فورا: أرجو ان لا يخيب ظنكم في الفلسفة، كما يومئ الى ذلك عنوان المحاضرة. لكنني مع ذلك لن أعطيكم انطباعاً رائعاً عنها في كل الأحوال. الفلسفة مؤسسة فكرية جليلة الشأن، لكنها لا تخلو من تهويمات فارغة ما أنزل الله بها من سلطان. وهي أفلحت في إعطاء انطباع عنها بأنها فن الغموض والوعورة، هذا الغموض شيء مفتعل، يصطنعه الفلاسفة لكي يغطوا على جهلهم بالأفكار التي يطرحونها. وهذا يسري على أكبر الفلاسفة. ضحك المستمعون، وأرهفت الأسماع الى المحاضر.

قال، بعد أن مسح نظاراته بقماشة تنظيف العدسات: كانْتْ؟ الفيلسوف الكبير، الذي ربما كان أكبر فيلسوف بعد أفلاطون وأرسطو، إن لم يكن ندا لهما. اسمعوا ما قاله عن كتابه الشهير «نقد العقل المجرد» مترجمه الى اللغة الإنكليزية: «حاولت قراءته، بيد أنني وجدته عصياً على الفهم تماماً، لكأنه كُتب باللغة السنسكريتية».

ويقول شوبنهاور، وهو من كبار الفلاسفة الألمان، كما تعلمون: «إن محاكاة كانْتْ أصبحت بدعة. كان فخته أول من سار على الدرب، لكنه أعاد النظر في موقفه في ما بعد. وسار شيلنغ على هذا النهج. ثم فاقهما في ذلك جيش من الكتّاب ممن يفتقرون الى الذكاء والصدقية». ثم يقول شوبنهاور: «لكن أكثر هذه الكتابات وقاحة في اجتراح الهذيان، في لفْق نسيج من الكلمات التافهة والجنونية، مما لا يُسمع إلا في بيمارستانات المجانين، ظهر أخيراً في كتابات هيغل». وضجت القاعة بالضحك.

لكن رياض العبيدي استدرك قائلاً: «لا شك في ان هذا الكلام لا يخلو من حسد مهنة، لكنه لا يخلو من صحة ايضا». ثم أنهى العبيدي محاضرته قائلا: «والآن، إذا سألتموني من هو أحب الفلاسفة إلي، لقلت إيمانويل كانْتْ، على رغم انه كان أول مشرّع للغموض في الفلسفة!» وضجت القاعة بالتصفيق والضحك.

وقالت شهرزاد لصديقتها ياسمين: «آه، يا إلهي، ما أظرفه!». بعد انتهاء المحاضرة، تقدمت ياسمين من المنصة، فاستقبلها رياض بالعناق. ثم قادته من يده الى حيث تجلس شهرزاد، وعرّفته بها:

«رياض، أقدم لك صديقتي العزيزة، الدكتور (في الفيزياء) شهرزاد المقدادي».

فمد إليها يده، وقال: «فرصة سعيدة، دكتورة. هل أنت ابنة الدكتور هشام المقدادي؟».

«نعم».

«أرجو أن تنقلي إليه إعجابي الجم بكلمته الجميلة عن الصفر».

«سأنقل إليه ذلك».

في الشقة التي تقيم فيها ياسمين مع أمها وداد، قالت وداد لشهرزاد، بعد العناق: «أعددت لأجلك، يا عزيزتي شهرزاد، وجبة عراقية شعبية. هل يعجبك التشريب، حبيبتي؟». تساءلت شهرزاد: «التشريب؟ ما هو التشريب؟». «آه، أنا أنسى انك وُلدت في الغرب، وأمك لبنانية».

فقالت شهرزاد: «للأسف، خالة، لم أسمع بالتشريب قبل الآن». «إنها وجبة سومرية، كما تعتقد ياسمين، تُعد من لحم الخراف بعظمه، والبصل غير المقطّع، والحمص، واللايم المجفف، وعصير الطماطم، أو من دونه. ويمكن إضافة الباذنجان ايضاً. ويُسكب ذلك كله بمرقه على أقراص الخبز العراقي المقطّعة، ويؤكل ثريداً». قالت شهرزاد: «يبدو لي أنه وجبة شهية». «انا واثقة انها ستعجبك».

ثم قالت: «إنها فرصة سعيدة ان تشرفينا بحضورك الى بيتنا للمرة الأولى، ونحمد الصدفة، أو المناسبة، التي جاءت برياض الى لندن، ليتسنى لنا ان نعرّفك بخطيب ياسمين. هل أعجبتك المحاضرة»؟ «جداً». «هذا فخر لنا ولرياض». ودار الحديث عن الفلسفة، التي أكدت شهرزاد انها كانت على تماس بها منذ صغرها، لتخصص صديقة أخيها بها.

وذكرت أن أول فيلسوف تعرفت إليه منذ تلك السنوات هو بيركلي، لأنه كان موضع اهتمام ابيها وأخيها المختصين في الرياضيات، لأن بيركلي كان يعتبر الرياضيين كفرة!

فضحك مستمعوها. وازداد رياض إعجاباً بشهرزاد وارتياحاً إليها. واستطرد معها في الحديث عن الفلسفة والفيزياء، بحكم ارتباطهما ببعضها ارتباطاً وثيقاً (ميكانيك الكم، مثلاً، ومبدأ اللاحتمية). بعد هذا، أخذت وداد دفة الحديث، وقالت: «والآن، أرى ان ننتقل الى موضوع رياض. سأشكو همي الآن، وهمّ ابنتي ياسمين، الى رياض في حضور صديقتها المقربة شهرزاد». ونظرت في عيني رياض «أنت لا تسمع بكاء ياسمين إلاّ عندما تلتقيان.

أما انا فأسمع نحيبها كل ليلة. نعم، كل ليلة. فياسمين تعتبر نفسها أرملة حتى قبل ان يتم قرانها برياض، لأن رياض محكوم عليه بالموت مع سبق الإصرار، من ألف جهة. هناك خطة لتصفية الكوادر التي تأتي بعد الوزير». الوزير، في أي وزارة، له حراسة قوية، ويسكن في المنطقة الخضراء. لذلك يبقى في مأمن من الخطر. أما الآخرون فلا يتمتعون بمثل هذه الحراسة المنيعة. لذلك يتهاوون الواحد بعد الآخر».

ثم سألت رياض: «هل هذا صحيح، أم لا»؟ «صحيح». «طيب»، واصلت وداد كلامها «وأنا سأكون صريحة مع رياض، فليس هناك ما يدعوني الى الصمت... في ضوء هذا يمكن اعتبار رياض ضيفاً عابراً عندنا، وعند أمه، وأحبائه، وفي هذه الدنيا. إنه بين المرصودين، وينتظر دوره فقط، وهو لا يجهل ذلك، كما اعترف هو بنفسه. ولم يبق أحد لم يبصّره بهذه الأخطار.

كنا، ولا نزال، نقول له: رياض، أترك العراق. لم يعد العمل فيه لأمثالك آمناً. اترك العراق، يا حبيبي، من أجل عيون أمك، وإخوتك، وخطيبتك، وأحبائك، ولا تجعلهم يحزنون عليك يوماً ما، ويبكونك. فهل ستصغي الآن ايضاً»؟ ثم وجهت كلامها الى شهرزاد: «عفواً، حبيبتي شهرزاد، أرجو أن لا أكون كدرتك بهذا الكلام».

قالت شهرزاد بارتباك: «لا، خالة، ابداً، أنا لم أتكدر من هذا الكلام، الذي أقدر خطورته تماماً. إنه يبدو لي شيئاً يقف له شعر الرأس. لكنني لا أريد ان أصمّ أذني عن شيء يخص صديقتي العزيزة ياسمين. لذا، أرجو ان تأخذوا حريتكم في الكلام في حضوري». «شكرا، حبيبتي».

قالت وداد «وأنا وياسمين نأمل بأن يصغي رياض الى صوتك، الذي لا نشكك في انه سيكون في ناصرنا... والآن، ما قولك، يا حبيبي رياض»؟ ابتسم رياض بارتباك، ونزع نظاراتيه، وأخذ ينظف عدستيها بقطعة قماش أخرجها من غلاف النظارات، وقال: «هذا موضوع معقد... معقد جداً بالنسبة إلي، مع انه يبدو واضحاً وضوح الشمس بالنسبة إليكم جميعاً... أنا أحب العراق حباً يصعب تصوره. أنا أعشق ناسه الأبرياء، وأبكي لهم. تسبيني النساء العراقيات الشعبيات بعباءاتهن المذهلة. النساء العراقيات الشعبيات يمزقن نياط قلبي بتحملهن كل هذه المآسي، وبعباءتهن الجميلة. إنهن لوحات أجمل من لوحات آنغر، ورينوار، وفان غوخ. انني أعبد بساطتهن، وبراءتهن المذهلة. عندما أشق طريقي في سوق شعبي، أشعر أنني أسير بين أحب الناس إليّ. هذا جنون، ربما. أنا كنت محروماً من هذا المشهد في أيام النظام السابق. والآن صار في وسعي أن أعيش معه... انعدام الأمن؟ انفجارات؟ اغتيالات؟ عمليات اختطاف؟ هذا كله صحيح. لكنه لم يحُل بيني وبين الوجه البريء للعراق...».

قاطعته وداد، قائلة: «لكن البلد، يا حبيبي رياض، في دمار مستمر، فماذا ترجو من عملك وسط هذا الحريق الشامل»؟ ضحك رياض، وقال: «أنا لا أؤمن بالكليات. أنا أؤمن بالجزئيات. وربما يجعلني هذا الاعتقاد ألتقي مع مفكري ما بعد الحداثة». فكرت شهرزاد بكلام رياض بذهول: هذا الهيام الغريب بعباءات النساء الشعبيات، التي يفضلها على أجمل اللوحات في العالم، شيء ظريف حقاً، لكن كيف يتحمل الفوضى، والأقذار، والغبار الخانق، والأجواء الملوثة، وانقطاع الكهرباء، والحواجز الإسمنتية المشوهة لمنظر العاصمة، وفلتان الأمن، من اجل عباءات النساء الشعبيات؟ وماذا سيتبقى لياسمين المسكينة، غير هيامها بعيونه الجميلة؟ وما هو موقعها عنده؟ هل يفكر في همومها؟ هل يحبها؟ لكن لماذا وعدها بالزواج إذا لم يكن يحبها؟ والمهم، ما هي أهمية هذه الجزئيات امام هذا الخراب؟ وكأن وداد قرأت ما دار في دخيلة شهرزاد، فسألته: «ما هذه الجزئيات يا حبيبي رياض»؟ قال: «انا أكون سعيداً عندما أقنع وكيل وزارة زميل بأن إقامة الشعائر الدينية، كالندب على الإمام الحسين، في مقر الوزارة غير صحيح».

أطلقت وداد زفرة، وقالت: «أوه، رياض، أنت تُضحك الثكلى. البلد أعيد الى الوراء مئات السنين، طائفياً، وتخلفاً، ودماراً، وأنت تحاول إقناع موظف جاء به نظام المحاصصة الكريه، بأن من غير الصحيح إقامة الشعائر الدينية في مقر الوزارة». قال: «هل أتركه يقيم الشعائر في الوزارة»؟ «نعم، أتركه، وعد الى جامعة لوفان وإلينا، لأنك لا تستطيع، انت وبضعة مخلصين من أمثالك، الوقوف في وجه هذا الطوفان الكاسح». قال: «نحن نختلف، يا عزيزتي وداد. أنا أعتقد ان العمل خطوة خطوة لا بد من أن تظهر ثماره في آخر المطاف».

«وما قول عزيزتنا شهرزاد في هذا»؟ فقالت شهرزاد: «أنا مع رأيك، خالة وداد، مئة في المئة». إلا أن رياض رد قائلاً: «أنا آسف. أنا أشعر أنني انتمي الى العراق بكل وحله، وخرابه، وآلامه، أكثر من انتمائي الى جمهور المحاضرة التي ألقيت فيها كلمة بطرة. أنا أريد ان أشارك ابناء وطني في القضاء على هذا الطاعون الذي حل به. ينبغي أن لا نترفع على أبناء وطننا ونتركهم يصارعون قدرهم وحدهم». «وأنا، هل تريد ان تسحبني معك الى هذا الخراب»؟ قالت ذلك ياسمين، وبكت. «نعم، ياسمين، إذا كنت تحبينني». وبكت من دون ان تجيبه.

بعد مضي أسبوع على هذا اللقاء، تلقت شهرزاد نداء تلفونياً من صديقتها ياسمين، تخبرها وهي تبكي وتشرق بكلامها، بأن رياض قُتل بمسدس كاتم للصوت من ملثمين أوقفوا السيارة التي كانت تقله من الوزارة التي يعمل فيها، وهو في طريق عودته الى البيت الذي كانت أمه تنتظره فيه على الغداء.

فتساءلت شهرزاد: «ترى، هل كان رياض ينوي الانتحار»؟

* كتبت هذه القصة بوحي من النهاية الفاجعة لحياة المثقف العراقي كامل شياع.. ونشرت في حينها بجريدة(الحياة) اللندنية.